كلمات عارية

■ شاكر الانباري

نحن خائفون جداً

منذ أكثر من ثلاثين سنة ونحن خائفون. من أول حرب، وأول منفى، ومهجر، وراقد في مقبرة جماعية، ونحن خائفون. منذ سقوط نظام القمع والموت، وقرع طبول الطائفية وجثثها ونحن خائفون. وها هو الخوف يستعر فينا مثل نار في هشيم. لم تمر سنوات طويلة منذ أن خرج العراقيون من المقبرة، وهم اليوم خائفون لأنهم لا يرغبون في العودة إليها ثانية. ويخطئ أي سياسي إذا اعتقد أن فئة، أو طائفة، أو قومية، ستمضي معه إلى المقبرة تلك.

التجربة ولّدت وعيها، ومن يصل إلى نقطة الوعي تصعب العودة به إلى صحراء الجهل. جزء من الصراع الدائر حاليا له علاقة بملفات الفساد، واقتسام المناصب الحكومية، والمشاركة في إدارة شؤون البلاد، والهيمنة على الكراسي. وله علاقة بمعظم ملفات البلاد غير الناجزة كالعلاقة مع الولايات المتحدة، وكركوك، وتأسيس دولة مدنية، والأقاليم، وتوزيع الثروات، وغير ذلك من ملفات، وهذا أيضا يبرر الصراع السياسي، لكن في وسائل الصراع تكمن المعضلة. تسييس تلك الملفات هو ما يشكل خطورة على الطريق الذي تسير به العملية السياسية. التخوين والدس والتشكيك والاتهام والفضح والتسقيط والرشوة والتخويف، كلها كانت عناوين بارزة لمرحلة ما قبل الانسحاب الأميركي.

ولعل أكبر تلك المخاطر استخدام الشارع وتجييشه. لافتات وشعارات وطبول مواجهة طائفية قذرة. المقصود هنا ليس تظاهرات الناس المطالبة بحقوقها، لكن المسيرة ضد هذا الطرف أو ذاك، خاصة إذا ما شمّ من ذلك التجييش رائحة طائفية تتسع قليلا قليلا، وتقطع المجتمع، لا أفقيا فقط، بل عمودي أيضا. تظاهرات في سامراء والرمادي والبصرة والناصرية، ليست عفوية أبدا، تؤيد أو تدين. صحف وفضائيات تنفث سموما صرفا. وإذا ما لم ينتبه لها العقلاء والحكماء، وهم كثر في البيئة السياسية العراقية، ستستعاد إلى الأذهان تواريخ ممقوتة في الروح العراقية. تواريخ كان فيها القتل على الهوية، والتهجير، وقطع الطرق، والجثث مجهولة الهوية، والتمييز العرقي مانشيتات بارزة.

كانت ثمة أدوات للصراع أفادت من سنوات الفوضى، وهي معروفة، من ميليشيات إلى إرهابيين إلى بعثيين ومهووسين دينيا، وفاسدين ومزورين وباعة ضمير، سعوا طوال سنوات القتل تلك إلى جرّ المجتمع إلى لعبتهم الجهنمية. العراقيون، وفي المحافظات كلها، يعانون نقص الخدمات كالكهرباء ومياه الشرب والمدارس والمستشفيات، ومن البطالة. هم متساوون تقريباً بشروط حياتهم، وينبغي إلا تكون تلك الشروط الحياتية القاسية مدخلا لأي تجييش طائفي. ما أنجز في السنوات القريبة السابقة يشوبه نواقص كثيرة. الصراعات التي نشهدها اليوم ينبغي أن تدفع المجتمع بعيدا عن التجييش الطائفي، بعيدا عن مشاعر الخوف، لا أن تحاول الانعطاف نحوه، فأي مؤشر على وجود نية لذلك سيدفع ثمنها الجميع. وسوف تطال الجميع، خاصة ونحن في وسط متغيرات إقليمية عميقة، أصبحت الورقة الطائفية فيها ورقة رابحة بامتياز.

والأعجب في كل ذلك ظهور سياسيين غير مسؤولين، يتكلمون على الأزمة بعنجهية فائقة، وبلامسؤولية كبيرة. يحاولون تنفيه الهاوية التي تنتظرنا جميعا، بل ينكرون أصلا أن ثمة هاوية بالانتظار.... هؤلاء هم حملة السكاكين.

أهم المحطات الرئيسة المرتبطة بالوجود الأميركي في العراق

□ بغداد / المدى

حفل الوجود الأميركي في العراق بالعديد من المحطات والأحداث التي بدأت بـ عملية (حرية العراق).

ولعل المحطة المهمة بدأت لحظة إسقاط تمثال صدام في التاسع من ابريل كمؤشر لسقوط نظامه المباد، لكن اليوم طوى العراق الوجود الأميركي، وفي استعراض لأبرز أحداث تلك الأعوام منذ بدء العمليات العسكرية للإطاحة بصدام فقد بدأت في الـ ٢٠ من مارس ٢٠٠٣، حين شنت الطائرات الأميركية غارات جوية على العاصمة بغداد، التي تعرضت إلى قصف جوي شديد فيما دخلت القوات البرية البريطانية والأميركية الأراضي العراقية من جهة الجنوب، وفي ما يأتي المحطات البارزة المرتبطة بالوجود الأميركي في العراق منذ ٢٠٠٣، بعد أكثر من ثماني سنوات من النزاع:

اول انتخابات تشريعية في العراق

٢٠٠٣

- ٢٠ آذار: بدء عملية "حرية العراق" بغارات على بغداد ودخول القوات الأميركية والبريطانية جنوب البلاد.
- ٠٩ نيسان : دخول الأميركيين إلى بغداد وسقوط نظام صدام حسين.
- ٠١ أيّار : الرئيس الأميركي جورج بوش يعلن "نهاية المعارك" في العراق ومواصلة "الحرب على الإرهاب".
- ٠٢ تشرين الأول : الاعتراف بعدم العثور على أي أسلحة دمار شامل.
- ١٦ تشرين الأول : صدور القرار رقم ١٥١١ عن الأمم المتحدة، وينص على تشكيل قوة متعددة الجنسيات بقيادة أميركية.
- ١٣ كانون الأول : اعتقال الرئيس المخلوع صدام حسين قرب تكريت.

٢٠٠٤

- من نيسان الى آب: مواجهات بين قوات التحالف وجيش المهدي التابع لمقتدى الصدر.
- نيسان وتشرين الثاني: هجمات واسعة على الفلوجة، حيث كان يتحصن متمردون وعناصر من تنظيم القاعدة.
- ٢٨ نيسان: نشر صور معتقلين عراقيين يسيء عسكريون أميركيون معاملتهم في سجن أبو غريب.
- ٢٨ حزيران: بعد ١٤ شهرا من الاحتلال، قوات التحالف تسلم السلطة إلى حكومة عراقية.

٢٠٠٥

- ٣٠ كانون الثاني: أول انتخابات تشريعية متعددة الأحزاب في العراق يقاطعها السنة.
- ٠٦-٠٧ نيسان: انتخاب أول رئيس في تاريخ العراق هو جلال طالباني، وتعيين إبراهيم الجعفري رئيسا للوزراء.
- ١٥ كانون الأول : فوز الائتلاف العراقي الموحد في الانتخابات التشريعية.

٢٠٠٦

- ٢٢ شباط : تفجير مرقد الإمامين العسكريين في سامراء شمالي بغداد يؤدي إلى اندلاع أعمال عنف طائفية (٤٥٠ قتيلا).
- ٢٠ أيّار : نوري المالكي يصبح رئيسا للوزراء.
- ٠٧ حزيران : مقتل أبو مصعب الزرقاوي زعيم فرع تنظيم القاعدة في العراق في غارة أميركية.
- ٣٠ كانون الأول: إعدام صدام حسين شنقاً إثر إدانته في قضية مقتل ١٤٨ شيعيا في ١٩٨٢.

٢٠٠٧

- ١٠ كانون الثاني : الرئيس الأميركي جورج بوش يعلن إرسال ثلاثين ألف جندي إضافي إلى العراق.

٢٠٠٨

- ٢٣ آذار : عدد الجنود الأميركيين الذين قتلوا في العراق منذ أيار/مايو ٢٠٠٣ يرتفع الى أربعة آلاف.
- ٢٧ تشرين الثاني : البرلمان يصادق على الاتفاقية الأمنية مع واشنطن التي تنص على انسحاب القوات الأميركية أواخر العام ٢٠١١.

٢٠٠٩

- ٠١ كانون الثاني: العراق يستعيد المنطقة الخضراء المحصنة وخصوصا القصر الجمهوري رمز السيادة.
- ٢٧ شباط: الرئيس الأميركي باراك اوباما يعلن سحب الجزء الأكبر من القوات الأميركية في نهاية آب ٢٠١٠، قبل انسحاب كامل في ٢٠١١.
- ٣٠ حزيران: القوات الأميركية تنسحب من المدن العراقية.
- ١٩ آب و ٢٥ تشرين الأول و٨ كانون الأول: اعتداءات في بغداد على مبان حكومية تؤدي إلى سقوط ٣٨٦ قتيلا.

٢٠١٠

- ٠٧ آذار: انتخابات تشريعية، لا غالبية حقيقية بين قائمتي إياد علاوي ورئيس الوزراء المنتهية ولايته نوري المالكي.
- ٣١ آب: انتهاء المهمة القتالية الأميركية.
- ١٠ تشرين الثاني: اتفاق على تقاسم السلطة.
- ٢١ كانون الأول: حكومة وحدة، تكتمل في شباط ٢٠١١

٢٠١١

- ٠٣ آب: ضوء اخضر عراقي لبدء مفاوضات حول الإبقاء على مدربين عسكريين أميركيين بعد ٢٠١١. وفي ٨ أيلول البنتاغون يؤكد تأييده لإبقاء ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف جندي.
- ١٥ آب: ٧٤ قتيلا في اعتداءات يتبنى معظمها تنظيم القاعدة في العراق.
- ٢١ تشرين الأول : اوباما يعلن رحيل ٣٩ ألف جندي أميركي ما زالوا في العراق بحلول نهاية العام. ويرغب البلدان في إبقاء قوة لتدريب الجيش العراقي لكن واشنطن تطالب بالحصانة القضائية لعسكرييها، الأمر الذي رفضته بغداد.

احدى التفجيرات الارهابية

٢٠١١.. عام التظاهرات والانسحاب

□ بغداد / خلود رمزي

يستحق عام ٢٠١١ بحق لقب "عام التظاهرات، والانسحاب" كونهما الحدثين الأبرز في البلاد اللذين ميزا هذا العام.

فالتظاهرات انطلقت بشكل غير مسبوق في ساحة التحرير في بغداد وباقي المدن العراقية، احتجاجا على سوء الخدمات والمطالبة بالإصلاح السياسي ومحاسبة الوزراء الفاسدين، وانتهى العام بانسحاب آخر الوحدات العسكرية من العراق.

شهد يوم ٢٥ شباط انطلاق اكبر حملة تظاهرات في العراق أسقطت محافظ البصرة، ومحافظ الكوت، فيما تعرض المتظاهرون في بغداد إلى اعتداء مباشر من قبل الأجهزة الأمنية؛ سقط فيه أربعة قتلى وعدد من الجرحى.

حملة التظاهرات استمرت أكثر من أسبوعين، قبل أن يعلن رئيس الوزراء نوري المالكي في آذار الماضي منح المسؤولين مهلة (١٠٠ يوم) لتحسين الخدمات في مدنهم، لكن المهلة انتهت من دون نتائج.

إلى جانب ذلك شهد عام ٢٠١١ مجموعة من الأحداث السياسية، والأمنية، والاقتصادية التي عكست واقعا مضطربا على البلاد.

فالعام الحالي بدأ بحكومة غير مكتملة خلت من وزراء الأمن، وتصاعدت حدة التوتر السياسي لاحقا، لتحول دون اكتمالها. الخلافات السياسية وصلت إلى ذروتها، وتسببت في انقسام بعض الكتل على خلفية تضارب المواقف من تشكيل الحكومة، والمشاركة السياسية. ففي آذار الماضي أعلن تسعة نواب في الكتلة العراقية، التي يتزعمها إياد علاوي عن انفصالهم وتشكيلهم كتلة جديدة، أطلقوا عليها تسمية "العراقية البيضاء"، ترأسها النائب حسن العلوي. وحدث انشقاق مماثل في صفوف الائتلاف الوطني العراقي، وقرر المجلس الأعلى الإسلامي إعلان انفصال منظمة بدر عنه في تشرين الأول الماضي أثناء احتفال المجلس بالذكرى ٢٩ لتأسيسه، لكنه أرجأ الإعلان عن القضية لاحقا. السيد عمار الحكيم، أعلن عن تغيير اسم كتلته من الائتلاف الوطني العراقي إلى كتلة المواطن في آب الماضي، أما البرلمان العراقي فأقر في ١٢ من الشهر ذاته قانون حقوق الصحفيين، الذي واجه اعتراضات كبيرة من قبل الجهات التي تناصر حقوق الصحفيين وحرية التعبير. وفي ١٥ كانون الأول تم إنزال العلم الأميركي بمراسم رسمية إيذاناً بانتهاء قرابة ٩ سنوات من الوجود الأميركي في العراق، وتلاه بعد يومين إعلان الرئيس الأميركي باراك اوباما انتهاء مهمة القوات الأميركية وحلف الناتو رسميا في العراق.

الأزمة السياسية في العراق، تفجرت من جديد في ٢٢ كانون الثاني لتكشف عن حدة المشاكل الموجودة بين القادة السياسيين بصدور مذكرة اعتقال بحق نائب رئيس الجمهورية طارق الهاشمي، على خلفية اتهامه بتمويل عمليات إرهابية والتحريض عليها.

الأوضاع الأمنية في البلاد لم تكن بمعزل عن السياسية، حيث شهد العراق في عام ٢٠١١ مجموعة من التفجيرات والهجمات التي أوقعت مئات القتلى والجرحى. ففي ١٨ كانون الثاني وقع هجوم انتحاري على مركز تجنيد في محافظة تكريت سقط فيه ٥٠ شخصا، وجرح ١٥٠ آخرون، وبعد يومين سقط العدد ذاته من القتلى في سلسلة هجمات في مختلف أنحاء البلاد، بينهم ٤٥ قتيلا في تفجير مزدوج في مدينة كربلاء أثناء تأدية شعائر دينية.

وفي ٢٨ من الشهر ذاته، قُتل ٥٣ شخصا في سلسلة هجمات في مختلف أنحاء بغداد، بينهم ٤٨ لقوا حتفهم في انفجار قنبلة بمجلس عزاء.

شهر شباط شهد هو الآخر وقوع هجوم انتحاري على حافلة تقل زوارا، بالقرب من سامراء سقط فيه ٣٣ ضحية، وفي ٢٩ آذار سقط ٥٨ شخصا وجرح ٩٧ في سلسلة هجمات شنها مسلحون تابعون لتنظيم القاعدة ضد مكاتب الحكومة المحلية في تكريت.

ومر شهر نيسان الماضي من دون أحداث أمنية كبيرة، لكن الهجمات عادت مجددا في ٥ أيار حيث قتل ٢٤ شرطيا، في انفجار سيارة مفخخة بالقرب من مركز للشرطة في الحلة جنوب بغداد، وتبنى تنظيم "دولة العراق الإسلامية" الهجوم لاحقا.

وفي ١٩ من الشهر ذاته وقعت ثلاث هجمات في مدينة كركوك، سقط فيها ٢٩ شخصا، غالبيتهم من رجال الشرطة.

أما شهر حزيران فشهد وقوع ثلاثة هجومات كبيرة، الأول كان عن طريق انفجارين في اليوم الثالث من الشهر، استهدفا مسجدا وسط مدينة تكريت، والمستشفى الذي نُقل إليه ضحايا تفجير المسجد مخلفا ٢٤ ضحية. أما الهجوم الثاني فوقع في ٢١ حزيران، واستهدف محافظة الديوانية، حيث دخل انتحاريان إلى المكان، واسقطا ٢٦ ضحية، غالبيتهم من عناصر الشرطة، فيما أوقعت ثلاث هجمات في بغداد في ٢٣ من الشهر ذاته خلفت ٢٤ ضحية.

شهر تموز شهد هجومين انتحاريين، وقعا شمالي بغداد في الخامس من الشهر، قُتل فيهما ٣٥ شخصا، وفي ١٥ آب وقعت مَجموعة من الأحداث الأمنية التي استهدفت عددا من المدن وأوقعت ٧٤ ضحية، كما تسبب في جرح أكثر من ٢٣٠ شخصا، وكان غالبية الضحايا من مدينة الكوت التي وقع فيها تفجيران انتحاريان. وفي ٢٨ آب قتل ٢٨ شخصا، بينهم نائب في البرلمان، في هجوم انتحاري استهدف مسجدا كبيرا في بغداد، وأشارت أصابع الاتهام حينها الى تنظيم القاعدة.

المشاكل على الحدود الإدارية بين مدينتي كربلاء والأنبار، تعمقت بشكل أكبر عقب وقوع هجوم مسلح في ١٢ أيلول على زوار قتل ٢٢ منهم أثناء عبورهم محافظة الأنبار في طريقهم من كربلاء إلى سوريا. وفي ٢٧ تشرين الأول سقط ٣٢ ضحية، وجرح ٧١ آخرين في انفجار قنبلتين على جانب الطريق شمال بغداد.

ورغم الهدوء النسبي في الجانب الأمني في شهر تشرين الثاني الماضي، إلا أن الهجمات عادت لتستهدف مجموعة من الزوار في ٥ كانون الأول وأسقطت ٢٩ ضحية كانوا يستعدون لإحياء مراسيم عاشوراء. الأحداث الأمنية توالت بشكل مفاجئ عقب الأزمة السياسية بعد صدور مذكرة اعتقال بحق نائب رئيس الجمهورية طارق الهاشمي، وشهدت بغداد وقوع سلسلة من الهجمات المنسقة في ٢٢ كانون الثاني أوقعت ٥٧ قتيلا و١٧٦ جريحا، طبقا لإحصائيات وزارة الصحة العراقية.

وفي ٢٧ كانون الأول، تواصلت العمليات الأمنية بسقوط سبعة قتلى و٣٠ جريحا في تفجير انتحاري استهدف وزارة الداخلية ، وأعلنت "دولة العراق الإسلامية" في الوقت ذاته مسؤوليتها عن سلسلة تفجيرات بغداد التي أطلقت عليها تسمية "غزوة الخميس".

العراقيون ودّعوا عام ٢٠١١ بجميع أحداثه، السياسية، والأمنية، والاقتصادية، وينظرون بعين من القلق تارة، والاطمئنان تارة لعامهم الجديد الذي يخبئ لهم أحداثا جديدة لن يتمكنوا من التنبؤ بها قبل وقوعها.

■ عن: نقاش ويكلي

تظاهرات في بغداد

قطعات عسكرية اميركية مغادرة